أسواق العبيد في العصر الفاطمي (٣٥٨/ ٥٦٧هـ/ ٩٦٩- ١١٧١م)

د. صفاء شكري نظير علي (*)

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد ..

تناولت في هذه الدراسة أسواق العبيد في العصر الفاطمي (٣٥٨- ٥٦٧هـ/ ٩٦٩- ١١٧١م). ففي خلال هذا العصر نال الجانب الاقتصادي نصيبًا وافرًا من الازدهار في مصر، واهتمام السلطة الحاكمة، ولا سيما لأنها هي مرآة الحياة الاقتصادية، وبوجه عام فقد وضعت لها الدولة الفاطمية العديد من القوانين؛ لكي تستطيع تحقيق السيادة الكاملة على مصر حتى لا يستطيع أحد الوقوف أمامها واستمرار بقائها ونشر مذهبها، وكان للأسواق حظ وافر من هذه القوانين والنظم لإدارة الأسواق لانتظام الحركة التجارية بها.

فمدينتى الفسطاط والقاهرة كان تحتلان مركزا مهما وعظيما فى مجال التجارة فغمرت كل منها بالاسواق الرائجة فاسهموا بدور وافر فى ازدهار الحياة الاقتصادية بوجه عام.

وفي هذه الدراسة نختص بدراسة أحد هذه الأسواق، وهي أسواق العبيد الذين يعدون أحد عناصر السكان الموجودين في مصر والذين كان الفاطميون يستعينون بهم في كثير من مناحي الحياة في مصر، وعلى إختلاف مصادرهم كان لهم أثر واضح فى المجتمع المصرى أنذاك، فقد حصلوا على أعلى المناصب فى العصر الفاطمى، وغيروا من أوضاع الخلافة، فعندما جاء الفاطميون إلى مصر حرصوا على الاهتمام بالأسواق، وخاصة أسواق العبيد، مما دفعني للدراسة في هذا الموضوع، وخاصة أن الدراسات التاريخية التي تعرضت لدراسة النواحي الاقتصادية أو الأسواق لم تولِ اهتمامًا كبيراً وواضحًا لدراسة

(*) قسم التاريخ - كلية الآداب – جامعة سوهاج.

أسواق العبيد وأهميتها في العصر الفاطمي أهم فترات التاريخ الإسلامي في مصر.

وسوف أتناول هذا الموضوع من خلال العناصر الآتية: تعريف بأحوال مصر خلال العصر الفاطمي، ثانيًا: العبيد في العصر الفاطمي، ثالثًا: أسواق العبيد في مصر في العصر الفاطمي، رابعًا: عبيد القصر الفاطمي، خامسًا: الأزمات الاقتصادية وأثرها على أسواق العبيد في العصر الفاطمي، ثم الخاتمة التي وضحت فيها ما توصل إليه البحث ثم ذكرت المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في البحث.

أولاً- تعريف بأحوال مصر خلال العصر الفاطمي:

تنقسم مصر جغرافيًا إلى قسمين هما الوجه البحري والوجه القبلي، وتميزت بموقعها الجغرافي المتميز والفريد مما جعلها مطمع لكثير من الدول وخاصة الدولة الفاطمية التي بذلت العديد من الحملات من بلاد المغرب[١]، وقد فشل العديد منها[٢].

في الوقت الذي كان الدعاة الفاطميون يستغلون أحوال البلاد المتدهورة، ويسعون جاهدين لنشر المذهب الشيعي[٣]، متقربين للمصريين، فنجحوا وأخذوا البيعة للخليفة المعز لدين الله الفاطمي[٤]، أواخر العصر الإخشيدي[٥].

---

[١] المغرب: بلاد واسعة وكثيرة حدها من مدينة مليانة وهي آخر حدود إفريقية إلى آخر حدود السدوس التي وراءها البحر المحيط، وتدخل فيه جزيرة الأندلس، وأما حدود بلاد المغرب فهي من الإسكندرية على النيل وأرض الصعيد حتى يمضي على ظهر الواحات إلى أرض النوبة أخذًا إلى البحر المحيط، واشتهرت بلاد المغرب تجاريًا. (ابن حوقل: صورة الأرض، بيروت، ١٩٩٢م، ج٣، ص ٢٩١؛ الحموي: معجم البلدان، بيروت، ١٩٧٧م، ج٤، ص ١٣٩.

[٢] ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٥، ص ١٣٩.

[٣] التشيع: أو الشيعي: لفظ أطلق على الشيعة وهم الذين شايعوا عليًا رضي الله عنه على الخصوص وقال بإمامته وخلافته نصًا ووصية إما جليًا وإما خفيًا، واعتقدوا أن الإمامة تخرج من أولاده، وإن خرجت فيعد ذلك ظلمًا، وذكروا ان الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصيبهم بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين لا يجوز للرسل إغفالها ولا تفويض العامة. (الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق: أحمد حجازي السقا، المنصورة، ٢٠٠٦م، ج١، ص ١٢١).

[٤] المعز لدين الله الفاطمي: هو أبو تميم معد بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله، ولد بالمهدية ببلاد المغرب، سنة ٣١٩هـ/ ١٩٣١م، تولى الخلافة بعد موت أبيه على مصر سنة ٣٥٧هـ/ ٩٦٧م بقيادة جوهر الصقلي، توفي سنة ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م (أبو عبد الله القضاعي: عيون المعارف وفنون الخلائف، تحقيق: أبو يعقوب نشأت، المنصورة، ٢٠٠٧م، ص ٦٠٥-٦٠٧.

[٥] الدولة الإخشيدية إحدى الدول المستقلة في مصر، وقد أسست على يد محمد بن طغج الإخشيدي سنة ٣٢٣هـ/ ٩٥٣م وخلال فترة حكمه كانت مصر تتمتع باقتصاد مزدهر (المقريزي: المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، بيروت، ١٩٩١م، ج٥، ص ٧٤٦-٧٤٧؛ أبو المحاسن جمال الدين: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، بيروت، ١٩٩٢م، ج٣، ص ٢٣٦- ٢٣٧.

وفي عهد ولاية كافور[١]، حاول الخليفة المعزلدين الله تكرار محاولاته للاستيلاء على مصر، فأرسل جيشه إلى منطقة الواحات المصرية في الوقت الذي أرسل إلى كافور يطلب منه البيعة، ولكن الأخير كان يلعب على الجانبين، يرحب بالفاطميين وفي الوقت نفسه يسعى لمراعاة الخلافة العباسية، ولكي يستمر الحال، وعاشت مصر في فوضى كبيرة، استغل المعز هذا الأمر وقام بإرسال حملة في سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م بقيادة جوهر الصقلي[٢]. استطاع بها الاستيلاء على مصر في سنة ٣٥٧هـ/ ٩٦٨م، وأصبحت مصر فاطمية[٣] عندما دخل القائد جوهر الصقلي إلى مصر أمر بإقامة الخطبة في الجامع باسم الخليفة المعز لدين الله الفاطمي[٤] وأسس مدينة القاهرة[٥] لتكون عاصمة للفاطميين.

---

[١] كافور: هو أبو الملك كافور عبد الله الإخشيدي أبو المسك، اشتراه أبو بكر محمد بن طغج الإخشيدي سنة ٣١٢هـ/ ٩٢٣م، ترقى لديه إلى أن وصل أتابك لولديه، ولما توفي الإخشيدي ناب في الحكم في عهد ولديه آنوجور وأبو الحسن علي، ثم استقل كافور بالحكم سنة ٣٥٥هـ/ ٩٦٥م، واستمر به حتى توفي سنة ٣٥٧هـ/ ٦٦٨م،
(ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٨م، ج٤، ص ٩٩، ١٠٥؛ أبو المحاسن: المصدر السابق، ج٤، ص ١-٣؛ الزركلي: الأعلام، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٥، ص ٢١٦.

[٢] جوهر الصقلي: هو أبو الحسن جوهر بن عبد الله المعروف بالكاتب الرومي قائد الجيش الفاطمي الذي فتح مصر والشام، وأسس مدينة القاهرة، والجامع الأزهر بأمر من الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، أقام مستقلاً بتدبير أمور مصر قبل وصول المعز، أربع سنين وعشرين يومًا، توفي سنة ٣٨١هـ/ ١٩٩١م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص ٣٧٥-٣٨٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، بيروت، ١٩٨٤م، ج١٦، ص ٢٠٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، بيروت، ٢٠٠٠م، ج١١، ص ١٧٢).

[٣] القضاعي: عيون المعارف، ص ٦٥؛ محمد جمال الدين سرور: تاريخ الدولة الفاطمية في مصر، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٦٢- ٦٤.

[٤] ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق: مصطفى السقا، الكويت، ١٩٦٩م، ص ٤١.

[٥] القاهرة: مدينة بجانب الفسطاط، تقع في شمال مصر بالوجه البحري، بناها القائد جوهر الصقلي الفاطمي، عند دخول مصر في سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م، وبنى فيها الجامع الأزهر تقربًا للخليفة المعز لدين الله، وتدعيم الدولة الفاطمية الجديدة، اشتهرت بالعلم، فهي تعد محط الطلاب والعلماء من جميع الآفاق. (ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ٣٠١؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٣٥؛ جاستون: مدينة الفن والتجارة، ترجمة: مصطفى العبادي، بيروت، ١٩٦٨م، ص ٣٥-٣٧.

وقد تمتعت مصر قبل دخول الفاطميين برخاء اقتصاديا واسعا، تميزت بثروة زراعية كبيرة نظرًا لكثرة الأراضي السهلية الخصبة الواسعة، ومنذ بداية دخول العرب المسلمين إليها وهم يدركون أهميتها، ولذلك احترموا ملكيتها[١].

واستمر هذا الرخاء إلى عهد الدولة الطولونية[٢]، فأغلب فتراتها كانت رفاهية، ولا يشوبها أي أزمات أو مجاعات، وكان الاستقرار يعم البلاد ولاسيما عندما يستقر نهر النيل بشكل كبير ومنتظم، ولكن في عصر الدولة الإخشيدية حدثت الاضطرابات في مصر، واستمرت المجاعات في أواخره حتى دخول الفاطميين مصر وبعدها[٣].

أما الفاطميون فقد قاموا بعقد صلح مع أهل مصر تعهدوا فيه باستقرار الملكيات والاحوال بها [٤]، فازدهرت الأحوال الاقتصادية في مصر خلال هذه الفترة، واهتم الفاطميون بالزراعة، وأنشأوا لها إدارة خاصة تهتم بها وبشئونها، وكذلك اهتم الفاطميون بالصناعة، فنهضت بالعديد من الصناعات المهمة؛ مما ساعد على استقرار أمور البلاد[٥].

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة (د.ت)، ج٤، ص ١٠٨؛ بتلر: فتح العرب لمصر، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٣٤٧.

(٢) الدولة الطولونية: أسست على يد أحمد بن طولون سنة ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م، وتميز عهدها بالرخاء والازدهار في شتى جوانب الحياة سواء أكان اقتصاديًا أو ثقافيًا أو اجتماعيًا، وانتهت هذه الدولة على يد الخليفة العباسي المكتفي الذي أرسل محمد بن سليمان الكاتب استولى على مصر بهدف إرجاعها للخلافة العباسية مرة ثانية سنة ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م. (المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، د.ت، ج٢، ص ١٠٣- ١٠٥؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٣، ص ٤٠٣.

(٣) السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٧م، ج١، ص ٥٩٩؛ سيدة كاشف: أحمد بن طولون، الدار القومية المصرية، ١٩٦٥م، ص ٢٠١.

(٤) المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٩٦م، ج١، ص ١٠٣-١٠٦.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤م، ج٣، ص ٣٠٥، ٣٠٦؛ محمد جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية، ص ١٣٧، ١٣٨.

واهتمت الدولة بالنشاط التجاري سواء داخل مصر أو خارجها، ولا سيما في مدينة الفسطاط[١]، والقاهرة. وقد سعت الدولة الفاطمية في جعل القاهرة أهم مركز تجاري، وأسست بها ما لا يقل عن عشرين ألف دكان واشتهرت بها تجارة الأقمشة والذهب[٢].

وظهرت بها العديد من الأسواق المتخصصة في عروض التجارة المختلفة، ومن أشهر الأسواق التي ازدهرت في العصر الفاطمي أسواق العبيد التي هي محور البحث الذي بين أيدينا.

---

[١] الفسطاط: أول مدينة إسلامية اختطت بعد دخول العرب مصر على يد عمرو بن العاص، فجعلها أول عاصمة إسلامية في مصر، ويقال عنها إنها ضرب من الأبنية، وفي موضع آخر: مجتمع أهل الكورة حول المسجد، وامتاز موقع الفسطاط بحصانة طبيعية، فهي تمتد شمالاً حتى كوم الجارح وقنطرة السد منطلقة جنوبًا من الرصد وحدها الغربي هو الشاطئ نحو الغرب، والحد الشرقي ينتهي إلى القرافة. (ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٣٧؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ٢٦٣، ٢٦٤؛ خالد حامد السيد عبد الله: مدينة مصر القديمة في القرن السابع عشر الميلادي، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير بكلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة القاهرة (د.ت)، ص ٣-٤.

[٢] أبو الفدا: تقويم البلدان، بيروت، ١٨٣٠م، ص ١٠٨؛ ناصر خسرو: سفرنامه، ترجمة: أحمد خالد البدلي، جامعة الملك سعود، ١٩٨٣م، ص ٤٠، ٤٨.

ثانيًا- العبيد[١] في العصر الفاطمي:

عرف الرق في التاريخ على أنه تنفيذ اجتماعي أو فردي يتحرر بصورة خدمة إلزامية على فرد أو على جماعة من الناس، وبما أن الخدمة الإلزامية التي هي العمل من أصعب الضرورات وأشقاها، فقد أخذ الإنسان في البحث عمن يخلصه من عناء العمل والإنتاج ومكابدته والقوى ألزم الضعيف بالاشتغال لديه[٢].

والرق وأسباب الاسترقاق قديم قدم الإنسان، عرفته الأمم، وأقرته معظم الديانات كاليهودية والنصرانية. أما الإسلام فقد حث على تحرير العبيد، وحسن المعاملة، وجعلهم الإسلام إخوانًا مع الأحرار متحابين، والتاريخ الإسلامي مليء بأمثلة تدل على أن المسلمين استجابوا لشرائع دينهم، منذ الفتح العربي الإسلامي للدول استعمل عدد من العبيد الذين دخلوا في الإسلام كولاة على الولايات الإسلامية التي تم فتحها، ففي عهد القائد عمرو بن العاص[٣] تولى وردان مولى عمرو خراج مصر[٤]،

---

[١] العبيد: لفظ يطلق على الإنسان حرًا كان أو رقيقًا، والعبد المملوك خلاف الحر، فيقال فلان عبد بين العبودة، والعبودية، والعبدية، وأصل العبودية الخضوع والتذلل، ويسمى العبيد بالرقيق، وتطلق كلمة عبد على الذكر والأنثى معًا، فهو لفظ مشترك، فيقال: رجال عبد، وأطلق لفظ عبد على الحر والعبد في القرآن كقوله تعالى: ((وما أنا بظلام للعبيد)) [سورة ق، آية ٢٩]؛ ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي، القاهرة، د.ت، ح٣١، ص ٢٧٧٦؛ بشاري لطيفة بن عميرة: الرق في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى رحيل الفاطميين، الجزائر، ٢٠٠٧م، ص ١٤.

[٢] فاطمية قدورة الشامي: الرق والرقيق في العصور القديمة والجاهلية وصدر الإسلام، ص ٢٤.

[٣] عمرو بن العاص: من أبناء قريش الذين كان لهم مكانة كبيرة وباع في الفتوحات، فتح مصر وأصبح واليًا عليها، في عهد الخليفة عمر بن الخطاب "رضي الله عنه"، وهو الذي بنى مدينة الفسطاط، وسمى جامعها باسمه، عزل عن حكم مصر في عهد الخليفة عثمان "رضي الله عنه"، رجع للحكم مرة ثانية في عهد معاوية بن أبي سفيان، واستمر بها حتى توفي. (أبو المحاسن: النجوم، ج١، ص ١٠٠٨؛ السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، إحياء الكتب العربية، ١٩٦٧م، ج١، ص ٥٧٨- ٥٨٠؛ حسن أحمد محمود: الكندي المؤرخ أبو عمر بن يوسف المري وكتابه الولاة والقضاة، الدار المصرية (د.ت)، ص ٨١، ٨٢.

[٤] ابن عبد الحكم:فتوح مصر والمغرب، القاهرة، ١٩٢٤م، ص ١٩٧؛أبو المحاسن:المصدر السابق،ج١،ص ١٧٥.

واستعمل مسلمة بن مخلد[١] والي مصر وإفريقية في عهد معاوية بن سفيان[٢]، فولاه أبو المهاجر بن دينار على إفريقية في سنة ٥٥هـ/٦٧٥م[٣].

وحذا العباسيون حذو سابقيهم في الاستعانة بالموالي ومعظمهم من مماليكهم، فالخليفة المأمون العباسي (١٩٨- ٢١٨هـ/ ٨١٣- ٨٣٣م)[٤] أول من استكثر من المماليك، حيث ضم بلاطه عددًا من هؤلاء المماليك المعتوقين[٥]. ثم تلاه أخوه المعتصم[٦]، الذي كان يشتريهم صغارًا، ويربيهم حتى وصلوا إلى عشرين ألفًا[٧]، أما أحمد بن طولون[٨] فاعتمد اعتمادًا شبه كلي على المماليك، فوالده كان مملوكًا تركيًا أهدى للخليفة المأمون سنة ٢٠٠هـ/ ٨١٥م[٩]. وسار

---

(١) مسلمة بن مخلد بن صامت بن دينار بن لوذان بن عبد ون بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج، الصحابي الأنصاري، ولاه معاوية بن أبي سفيان مصر بعد عزل عقبة بن عامر الجهني في سنة سبع وأربعين، وجمع له معاوية الصلاة والخراج وبلاد المغرب.(أبو المحاسن: النجوم، ج١، ص ١٧٥؛السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص ٥٨٥).

(٢) معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب، من أهل قريش، لقبه الخليفة عمر بن الخطاب بكسرى العرب، اتصف بالحلم، وهو أول خلفاء بني أمية (القضاعي: عيون المعارف، ص ٤١٦).

(٣) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص ٦٧.

(٤) الخليفة المأمون: هو أبو جعفر بن عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، أحد خلفاء الدولة العباسية، ولد في سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٥م، أمه فارسية الأصل، تولى الخلافة في ٢٦ محرم سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣م، وتوفي سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٧م. (زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٣).

(٥) علي إبراهيم حسن: تاريخ المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٧م، ص ٢٣.

(٦) هو أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد، أحد خلفاء الدولة العباسية ولد سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٦م، ٧٩٦م، بويع له بالخلافة بعد موت المأمون العباسي، وفي عهده أسقط العنصر العربي من ديوان الجند، كانت خلافته ثماني سنين وثمانية أشهر، توفي سنة ٢٢٧هـ/ ٨٤١م. (القضاعي: عيون المعارف، ص ٥١٨- ٥٢٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: خيري سعد، القاهرة، ٢٠٠٤م، ج٦، ص ١٤).

(٧) السيوطي: تاريخ الخلفاء، الأميرية، ١٩٥٠م، ص ٣٥١.

(٨) أحمد بن طولون: ولد سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م، تركي الأصل، جاء إلى مصر نائبًا لربيبة باكباك باكباك الذي عينه واليًا على مصر من قبل الخلافة العباسية، ولكنه قتل وتولى مكانه باركوخ، الذي زوجه بنته وسلم له ولاية مصر، ولكنه استقل بحكم مصر عن الدولة العباسية، وبنى جامعه المشهور باسمه، توفي سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م. (ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٨م، ج١، ص ١٧٣- ١٧٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات،ج٦، ص ٢٦٥؛ أحمد مختار العبادي: التاريخ العباسي والفاطمي، بيروت، (د.ت)، ص ١٢٩).

(٩) المقريزي: الخطط، ج٢٢، ص ٩٤.

الإخشيديون على نفس سياسة سابقيهم، فجعلوا منهم جيشًا كبيرًا[١]. واعتمد الفاطميون خلال حكمهم في أفريقيا على المغاربة المصامدة، وعندما استولوا على مصر واستكثروا من العبيد[٢]، واستمر الاهتمام بالعبيد بعد العصر الفاطمي في وجود الأيوبيين[٣].فإنهم استكثروا من المماليك[٤]، الذين كانوا سببًا في قيام قيام الدولة المملوكية.

وبهذا تعد مصر من أعظم أسواق الرقيق منذ الفتح العربي ولاسيما في عهد الدولة الفاطمية، فبأسواقها الرقيق الأسود والأبيض الذى يصل إليها من بيزنطة وأرمينيا وثغور البحر الأبيض المتوسط[٥].

فكانت أسواق العبيد فى عصر الدولة الفاطمية دائمة الحركة والنشاط بالأجناس المتعددة أغلبهم من العبيد السودانيين الذين يجلبون من بلاد النوبة، حيث كان سماسرة الرقيق فى مدينة أسوان يذهبون إلى هذه البلاد لجلب الرقيق[٦].

---

(١) أبو المحاسن: النجوم، ج٣، ص ٥٩.

(٢) علي إبراهيم حسن: تاريخ المماليك البحرية، ص ٢٤.

(٣) منذ أن تولى السلطان صلاح الدين الأيوبي الوزارة في عهد الدولة الفاطمية سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م كان يسعى إلى تأسيس الدولة لأيوبية في مصر، وقد نجح في ذلك سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م، وبذل جهودًا كبيرة لكي يعمل على وحدتها ويزيد من توسعاتها حتى توفي سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م، وسار على نهجه خلفاؤه. (أبو شامة الدمشقي: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصالحية، القاهرة، ١٨٧٠م، ج١، ص ٩، ١٥٣).

(٤) ويطلق اسم المماليك اصطلاحًا على أولئك الرقيق الأبيض – غالبًا- الذي درج بعض الحكام المسلمين على استحضارهم من أقطار مختلفة وتربيتهم تربية خاصة، تجعل منهم محاربين أشداء، استطاعوا فيما بعد أن يسيطروا على الحكم في مصر والشام والحجاز وغيرها قرابة الثلاثة قرون من الزمان ما بين ٦٤٨- ٩٢٢هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م، فلم يكونوا عبيدًا خدامًا أو موالي (أسرى حرب). (ابن منظور: لسان العرب، كلمة ملك، ج٣١، ص ٢٧٧٧؛ علي إبراهيم حسن: تاريخ المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٧م، ص ٢٣- ٢٤.

(٥) فاطمة الشامي: الرق والرقيق في العصور القديمة، ص ٢٤.

(٦) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٣٠٦، ٣١٣؛ ممدوح محمد حسن : نظام السمسرة وأثره على النشاط التجارى فى مصر خلال العصر الفاطمى ٣٥٨- ٥٦٧هـ/ ٩٦٩- ١١٧١م ، مجلة المؤرخ المصرى - دراسات وبحوث فى التاريخ والحضارة- يصدرها قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، العدد السادس والثلاثون ، يناير ٢٠١٠م ، ص٢٤٣.بلاد النوبة بضم أوله، وسكون ثانيه، وباء موحدة، هي بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر، وهم نصارى أهل شدة في العيش أول بلادهم بعد أسوان، يجلبون إلى مصر فيباعون بها، ومدينة النوبة اسمها دمقلة، وطول بلادهم مع النيل ثمانون ليلة (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص ٣٠٨).

ولقد بدأ اعتماد السلطة الفاطمية على عنصر العبيد لتسيير شئون الدولة العامة، ومختلف الأغراض الأخرى حيث أسندت لهم وظائف مهمة مكنتهم بمرور الزمن من الارتقاء التدريجي في السلم الاجتماعي، وأصبح تأثيرهم واضحًا في العصر الفاطمي ، ونتيجة لرواج تجارة الرقيق فى مصر والاقبال الشديد على اقتنائهم سواء من قبل الاهالى او من قبل الحكام الفاطميون كثر سماسرة[١] الرقيق فى مصر خلال العصر الفاطمى وممن أشتهر منهم ابن رمضان الذى كان يعرف بنخاس الرقيق وكان متمرسا فى جمع وشراء العبيد والجوارى وقد توفى فى عهد الخليفة الظاهر الفاطمى[٢] سنة ٤١٥هـ / ١٠٢٤م[٣] .

وقد زاد عدد العبيد في عصر الخليفة المستنصر الفاطمي[٤] زيادة واضحة وكبيرة، بلغ عددهم خمسين ألفًا، وأصبحوا يمثلون أركان الدولة، وخاصة كون أم المستنصر جارية سوداء[٥]. وزاد من عدد العبيد في الأسواق ولا سيما بعدما استأثر التجار اليهود بجلب الغلمان والجواري من أوربا، وكانوا يبيعونها فى أسواق مصر، فكان المسلمون يقومون بشرائهم، فلا يحق للذمي أنه يمتلك العبيد

---

[١] السمسرة لغة كلمة فارسية معربة، وقيل السمسار القيم بالأمر الحافظ له، والجمع السماسرة، وفعلهم السمسرة، والسمسرة تعنى أيضًا الدلالة ، وكلا اللفظين سمسار ودلال يؤديان نفس المعنى وهو الوساطة بين البائع والمشترى وذلك فى مقابل أجر يتقاضاه، ولكن الأكثر استخدامًا وشيوعًا فى المصادر لفظ السمسرة (ممدوح محمد حسن : المرجع السابق ص٢٢٨، ٢٤٤).

[٢] علي بن منصور بن نزار بن معد بن إسماعيل، صاحب مصر الملقب بالظاهر لإعزاز دين الله، ولد سنة ٣٩٥هـ/ ١٠٣٥م. (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص ٤٠٧، ٤٠٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٩، ص ١٩٢، ١٩٧؛ المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٦٧، ١٧٣.

[٣] ممدوح محمد حسن : المرجع السابق ، ص٢٤٤.

[٤] المستنصر الفاطمي: هو ابن الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله، ولد في مصر سنة ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م، تولى الحكم بعد أبيه سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م، وصف بحسن السيرة والبساطة والتواضع مع الناس، ولكن عرف عهده بأكبر مجاعة حدثت في التاريخ الإسلامي، وأطلق عليها الشدة المستنصرية، توفي سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٥٤م، (المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٤١، ١٦٩؛ أبو المحاسن: مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، لندن (د.ت)، ص ١١، ١٢؛ نضال أحمد سعيد: الأزمات الاقتصادية التي أصابت مصر في خلافة المستنصر بالله الفاطمي ٤٢٧- ٤٨٧هـ/ ١٠٣٥- ١٠٩٤م، مجلة كلية التربية بالجامعة المستنصرية، العدد الثاني، ٢٠٠٨م، ص ٥٤١- ٥٤٢.

[٥] ناصر خسرو: سفرنامه، ص ٤٩؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ٩٤.

في عصر الدولة الفاطمية، فالمسلمون كانوا يحسنون معاملة عبيدهم وإمائهم في أغلب الأوقات، وذلك عملاً بتعاليم الإسلام، وكان من البر والعادات المحمودة أن يعتق السيد كثيرًا من العبيد الذين يملكهم(١).

ولذلك يمكن القول إن تجارة العبيد في العصر الفاطمي تجارة مربحة ومزدهرة، ووضح ذلك أكثر عندما جلب الأوربيون الكثير من العبيد من الدول الإفريقية إلى الأراضي الجديدة لاستخدامها كأيدٍ عاملة رخيصة فى الزراعة والتعدين، واستخدمهم المصريون في الجندية، فمعظم الدول التي حكمت مصر استخدمت الرقيق في الجندية، كالفاطميون، واستمر ذلك في العصر الأيوبي والمماليك الذين كانوا أنفسهم من العبيد عبيد الشراء، واستخدم العبيد أيضًا في الأعمال المنزلية، ولذلك ازدهرت تجارة الرقيق في مصر(٢).

وكان يتم الحصول على العبيد عن طريق الخطف أو السرقة وهي من الظواهر الشائعة قديمًا وحديثًا، وأطلق عليها خطط الأحرار، وخاصة في بلاد الحبشة، فكان أهلها يقومون بسرقة أبناء بعضهم وبيعهم كعبيد إلى التجار المتجهين إلى مصر(٣). والخطف موجود أيضًا في مصر نفسها، فيذكر أن أهل السودان(٤) يخرجون لصيد العبيد في أراضي هؤلاء الزنوج، وهم إذا خرجوا حملوا معهم الخبز والزبيب والتين، ويجذبون الزنوج ويرغبونهم حتى يتبعوهم ثم يبيعونهم في أسواق النخاسة بمصر وما جاورها من البلدان(٥)، ومن مصادر العبيد أيضا أسرى الحرب ولا سيما فى عهد الدولة الفاطمية التى كانت دائمة الحرب من أجل السيطرة وتكوين إمبراطورية فاطمية وفرض السيطرة(٦).

---

(١) هويدا عبد العظيم رمضان: المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، ص ١٩٨.

(٢) الأمين عوض: أسواق القاهرة، ص ٨٠.

(٣) هيرات بلال: تجارة الرقيق، ص ٢٤.

(٤) السودان: ظهروا في مصر في عهد كافور الإخشيدي، وكانوا يجلبون من الجنوب كجنود مرتزقة، ولم يستخدمهم الخليفة المعز وابنه العزيز في الجيش، ولكن الخليفة الحاكم بأمر الله استخدمهم في محاربة المصريين السنيين بمدينة الفسطاط، وقد قاموا بنهبها وسرقة أسواقها، وفي عهد الخليفة الظاهر عاثوا في البلاد فسادًا، ونهبوا مدينة تنيس، فبعث إليهم الوزير علي بن أحمد الجرجرائي من أخضع ثورتهم (المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٨١؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ١٨١- ١٨٢).

(٥) رحلة بنيامين الطيلي، ترجمة وتحقيق عذراء حداد، بغداد، ١٩٤٥م، ص ١٧٠.

(٦) ل. ا.سيمينوفا : تاريخ مصر الفاطمية، ترجمة حسن بيومى ،ط مصر ٢٠٠١م،ص ١٩٧.

ثالثًا- أسواق العبيد في مصر في العصر الفاطمي:

منذ الفتح العربي الإسلامي لمصر وأسواق العبيد تحظى باهتمام واضح كسوق دار البركة في مدينة الفسطاط، والتي تُعد أول سوق بناها المسلمون في مصر بعد فتحها، وكان ذلك أيام القائد العربي عمرو بن العاص، وقد بنى على أساس مسكن للخليفة عمر بن الخطاب، ولكن الأخير رفضه، فأقيم كسوق العبيد[١].

وفي عهد الخلافة العباسية، كان هناك رحبة أمام دار أحمد بن المدبر[٢] والي الخراج في مصر، يقام بها سوق العبيد، وملكها الدار، ولما هزمه أحمد بن طولون، هدم الدار وجعل الرحبة سوقًا كبيرًا للعبيد عام ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م، وكان هناك دار أخرى يطلق عليها دار الأنماطي، وكان سوقًا مشهورًا لبيع الرقيق، واستمرت هذه الأسواق إلى العصر الفاطمي[٣].

فالفسطاط كانت تتمتع برخاء عظيم في العصر الفاطمي، فازدهرت بها تجارة العبيد، فأسواقها كانت تحوي أجناسًا متعددة من الرقيق، فبهذه الأسواق يوجد الرجال الأشداء الذين كانوا يستخدمون في الجندية، والأعمال الشاقة، وكان الناس يزدحمون في أسواق العبيد، إما لشيئين للبيع أو للفرجة، وخاصة على الإماء دون أن يكون لديهم رغبة الشراء، مما دفع الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي[٤] إلى إصدار قرار بتخصيص يوم لبيع الجواري ويوم لبيع الغلمان،

---

[١] هويدا عبد العظيم: المجتمع في مصر، ص ١٩٨.

[٢] هو أحمد بن محمد بن عبد الله المدبر الكاتب، تقلد ديوان الخراج والضياع في بلاد العراق في عهد الخليفة العباسي المتوكل، الذي ولاه ديوان الخراج في بلاد الشام، وكسب أموالاً عظيمة، ثم تولى خراج مصر في عهد أحمد بن طولون، الذي اختلف معه وعاتبه بالسجن ثم القتل سنة ٢٧٠هـ/ ٤٨٨م، وقد ضجت الناس من سياسة التعسف التي كان يتبعها مع زيادة الضرائب المستحدثة. (الصفدي: الوافي، ج٨، ص ٢٦، ٢٧؛ محمد أحمد: الأحداث السياسية في مصر، ص ١٢٠).

[٣] هويدا: المجتمع فى مصر، ص ١٩٩.

[٤] أبو علي المنصور بن العزيز نزار بن المعز لدين الله، ولد بالقصر في القاهرة سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م، تولى الحكم بعد أبيه سنة ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م، عن عمر أحد عشر عامًا وخمسة أشهر وستة أيام، كان الوصي عليه أرجون، ولكن عندما كبر قتل هذا الوصي واستقل بالحكم، واستولى على كل أمواله، واضطربت أحوال البلاد في كثير من أوقات عهده. (ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، القاهرة، د.ت، ص ١٧١؛ ص ١٧٦-١٧٧؛ المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٦٧؛ أبو المحاسن: مورد اللطافة، ص ٦، ٩).

ومنع التزاحم، واشترط على من يذهب إلى سوق العبيد إما أن يكون بائعًا أو مشتريًا[١]. واستثنى في قراره الخاص بمنع النساء من الخروج من دورهن الإماء اللواتي يبعن في سوق العبيد[٢]. رغم ذلك نجد أن التجار يلجئون إلى الغش والتحايل في إخفاء بعض عيوب الإماء، لذلك كان المشتري عندما يريد شراء عبد أو جارية، يقوم بتقليبها كما يقلب السلع الأخرى كالأقمشة والأواني[٣].

كانت تجارة العبيد كغيرها من التجارات التي يلجأ فيها النخاس إلى الغش والتدليس لتحسين رقيقه بوضح المساحيق مثلاً لتجميل الجارية[٤]، ولذلك كان المحتسب[٥] يحث السماسرة أن يفحصوا العبيد والجوارى خوفا من وجود عيوب أو أمراض، وكان متولي عملية البيع والمساومة رجل يطلق عليه "الدلال"، بحضور المحتسب؛ لمراقبة بيع الرقيق، بالاضافة للسماسرة البارعين فى عملية البيع والشراء وخاصة في موسم كثرة الرقيق، وقد اطلق عليهم النخاسين، وكثر وجودهم فى أسواق الرقيق خاصة وكانت الدولة قد وضعت الدولة الفاطمية القيود والضوابط على سماسرة العبيد والجوارى من أجل السماح لهم بمزوالة عملهم، كالامانة والعفة وأن يكون الواحد منهم مشهورا بالعدالة، وان يلتزموا

---

(١) ابن سعيد: النجوم الزاهرة، ص ٦١؛ الأمين محمد عوض: أسواق القاهرة، ص ٥٣.

(٢) الأنطاكي: تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي، مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٩م، ص ٢٠٨.

(٣) هيرات بلال: تجارة الرقيق ببلاد المغرب الأوسط، ص ٥٤.

(٤) ثورة إبراهيم الدوسري: خدم دار الخلافة ودورهم السياسي والحضاري في العصر العباسي الثاني، ص ٥٣.

(٥) المحتسب:وظيفة دينية يطلق على صاحبها متولي الحسبة، أي أنه يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح بين الناس، ويجب أن يكون فقيهًا عارفًا بأحكام الشريعة، وعليه أن يقصد بقوله وفعله وجه الله تعالى، وكانت تسند وظيفة المحتسب لوجوه المسلمين وأعيان المعدلين؛لأنها خدمة دينية، وكان من يخالف أوامر المحتسب يعاقب ولو بالضرب،وكان يهتم بالبيع والشراء في الأسواق،والكيل والميزان، وكان عليه النظر في دار العيار، ووظيفة المحتسب من الوظائف القديمة في المجتمع الإسلامي،التي بدأت تأخذ شكلها الواضح في رسومها، واستمرت أهمية المحتسب بعد ذلك على الأخلاق العامة، وكثير من الأمور الأخرى التي كان يشرف عليها في الأسواق، ولقب بالشيخ خلال العصرين الفاطمي والأيوبي، وكان المحتسب يقوم بتعيين نوابه بالقاهرة وجميع الأعمال. (الشيرازي: نهاية الرتبة في طلب الحسبة،القاهرة١٩٤٦م، ص ١٠٣؛ابن الطوير:نزهة المقلتين في أخبار الدولتين،تحقيق أيمن فؤاد سيد، بيروت،١٩٩٢م،ص ٨٥-١١٧؛القلقشندي:صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٨٦؛ عبد المنعم سلطان: الحياة الاقتصادية، ص ٥١، ٥٢.

بعدم بيع جارية أو عبد حتى يعرف اسمه وصفته حتى لا يكون المباع حر أو مسروق ويكتب ذلك فى دفتره، والا يبيع عبد مسلم لذمى بناء على قرار من الخليفة الحاكم بأمر الله ، وعليهم ألا يفرقوا بين الاطفال وابائهم عند عملية البيع[١] .

وكان للعبيد في الدولة الفاطمية حارات خاصة بهم في القاهرة والفسطاط، ولهم عرفاء يشرفون على مصالحهم[٢]،ويطلق على الحارات، محلات، تجارة برجون، وزويلة، وقصر الشوق، لعبيد الشراء[٣]، وحارة الهلالية[٤]، كذلك كانت توجد وكالة الجلابة فى مدينة القاهرة بالقرب من الجامع الازهر، وكان يكثر بها سماسرة الرقيق لمزوالة نشاطهم كان لتلك الوكالة مشرف خاص يدعى أبو منصور الجودرى ، ولعله كان يقوم بتنظيم حركة البيع التى يقوم بها السماسرة ومراقبتهم أيضا، وقد قام الوزير المأمون البطائحى ٥١٦هـ/ ١١٢٢م [٥] ، بتطوير وكالة الجلابة فقصدها التجار من كافة البلدان وكان ذلك بهدف زيادة الضرائب[٦].

ومن أنواع العبيد في الأسواق الفاطمية ما يطلق عليهم اسم الخصي، وهو العبد الذي يعمل في دور الحريم، وفيما بعد تألفت منهم فرق الحراسة الملكية، وصاروا يغتالون كل من يطالب بالعرش، وكانوا عيونًا في القصور، وتعددت أسماء العبيد بحسب الحالة والنوع، وهناك أيضًا من يطلق عليه "القن"، وهو

---

[١] ممدوح محمد حسن: نظام السمسرة وأثره على النشاط التجاري في مصر خلال العصر الفاطمي، ص٢٤٣،٢٤٢.

[٢] المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ١٦٩.

[٣] ناصر خسرو: سفرنامه، ص ١١٤.

[٤] المقريزى: الخطط، ج٢، ص٤٠٩.

[٥]أبو عبد الله محمد بن الأمير نور الدين أبى شجاع فاتك بن الأمير منجد الدولة أبى الحسن مختار المستنصرى ، ولد سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٩٤م، كان جبارًا متكبرًا ، ربى يتيما وصار حمالًا بالأسواق، دخل مع الحمالين إلى دار الوزير الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى مرة بعد مرة ، فأعجب به الوزير فجعله فى خدمته، فى سنة ٥٠١هـ/ ١١٠٧م، حسن عند الأفضل موقع خدمته، فصرفه فى كل أحواله وسلم له جميع أموره ، ونعته بالقائد، ولكن عندما توفى الوزير قام المأمون لخدمة الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمى، وأطلعه على أموال الأفضل، فقربه الخليفة إليه، فولاه الوزارة، ولم تمضِ الأمور كما يريدها المأمون فقد اتهمه الآمر بالخيانة فقبض عليه وصادر أمواله.(الصفدى: الوافى، ج٤، ص٢٢٢؛ المقريزى: الخطط،مج١، ج٢،ص٢٨٣-٢٨٥).

[٦] ممدوح محمد حسن: نظام السمسرة، ص٢٤٥.

من لا عتق فيه[١]. وأطلق أيضًا لفظ الإماء والجواري، الجارية الغنية من النساء، وهن ثلاثة أنواع: جواري الخدمة، وأمهات الأولاد[٢].

وأطلق أيضًا على العبد لفظ الفتى المملوك، أي مملوك لدى سيده، وصار في مقتنياته، فهو من طبقة المملوكين، وأطلق عليه "رب ملكن"، وأطلق على الرقيق "ملك اليمين"، وهذا لقب يخص "الإماء"، أي ملك شرعي عن طريق السبي في الحروب[٣].

رابعًا- عبيد القصر الفاطمي:

كان القصر الفاطمي ممتلئًا بعدد كبير من العبيد والجواري للقيام بالوظائف المختلفة، وكان من بين الجزية[٤] المفروضة على بلاد النوبة في هذا العصر ثلثمائة وستون رأسًا من الرقيق عام[٥]. كان معظمهم يعمل في القصر، كما كان لكل فرد من الأسرة الحاكمة وكبار رجال الدولة من الوزراء والكتاب وأرباب الرتب عدد من الجواري والعبيد، وقد أسهب المؤرخون في ذكر خلفة هؤلاء من الجواري في العبيد بعد وفاتهم، وكانت الجواري تتمتعن بنصيب وافر من الامتيازات التي لم تمنح لغيرهن حتى أصبحت بالغنى الفاحش، حيث كان العبيد يتمتعون بحق الميراث في القصر الفاطمي[٦]،حيث كانت الجواري في القصر يحتفظن بأملاك خاصة وثروات كبيرة نتيجة ما يمنح لهن من عطايا وهبات فيروي المقريزي قائلاً: "توفيت عائشة جارية الأمير عبد الله بن المعز، وكانت من وجوه عجائز القصر، وخلفت أربعمائة ألف دينار" [٧].

ورغم أن العبيد لا يحق لهم الميراث ولا يجوز لهم الوصية شرعًا؛ لأن أموالهم لمولاهم لا يرثهم أحد، إلا أن الدولة الفاطمية كانت تعتبر العبيد

---

[١] عيوني محمد: دور الرقيق في الحياة السياسية، الجزائر، ٢٠١٣م، ص ٣٨.
[٢] فاطمة الشامي: الرق والرقيق ، ص ٢٣.
[٣] بشاري بن عميرة:الرق في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى رحيل الفاطميين،جامعة الجزائر،٢٠٠٠م، ص ٣٤.
[٤] الجزية: جمعها جزى، وهي مبلغ من المال مسجل ومكتوب على الشخص الذي لا يعتنق الإسلام. (ابن منظور: لسان العرب، ج٨، ص ٦٢١).
[٥] المقريزي: الحنفا، ج٢، ص ٤١، ١٦٩.
[٦] سلطان: الحياة الاجتماعية، ص ٨٣.
[٧] المقريزي: الحنفا، ج٢، ص١٧٣.

المناصرين للدعوة الإسماعيلية من حقهم الإرث، وتقبل شهادتهم، ويسمح لهم بالبيع والشراء والتصرف في ممتلكاتهم[١]. وقد ارتفع شأنهم داخل القصر الفاطمي، ولاسيما بعد زواج الخلفاء بالجواري، فالمعروف أن زوجة الخليفة العزيز بالله[٢]، وأم الخليفة الحاكم بأمر الله، كانت جارية رومية مسيحية[٣]. كما تزوج الحاكم من إحدى جواري أخته ست الملك "سيدة الملك"، وتزوج الخليفة الظاهر بجارية سودانية[٤]. ولدت له ابنه المستنصر[٥].

وزاد شأنهم أكثر في عهد الحاكم بأمر الله عندما غضب على المصريين لما صنعوا له تمثال امرأة وفي يدها رقعة وأسمعوه فيها كلامًا مكروهًا، فأمر العبيد على إحراق مصر "الفسطاط" بمعاونة الأتراك، وأحدثوا الكثير من الثورات والتخريب[٦].

وارتفعت مكانتهم أكثر عندما كونوا فرقًا خاصة داخل الجيش الفاطمي أطلق عليها "فرق عبيد الشراء"، وصل عددهم ثلاثين ألف رجل، وفرق تسمى أيضًا "الزنوج"، يحاربون بالسيف وحده قيل إنهم ثلاثون ألف رجل[٧].

---

(١) القاضي النعمان: كتاب المجالس والمسايرات، تحقيق: الحبيب الحنفي، تونس، ١٩٧٨م، ص ٣٩٣، ٣٩٤.

(٢) أبو المنصور: نزار بن معد ولد بمصر في شهر المحرم سنة ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م، تولى الخلافة بعد وفاة أبيه الخليفة المعز لدين الله الفاطمي سنة ٣٦٥هـ/ ٩٦٦م. تميز بالكرم والسياسة والشجاعة، كان يعامل الناس بحسن، وكان يحب الصيد، وامتاز بكثرة أعماله وانتصاراته في المعارك والحروب في شتى البلاد، حتى توفي سنة ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م (القضاعي: عيون المعارف، ص ٦٠٩- ٦١٠؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص ٣٧١- ٣٨٢؛ المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٦٧؛ أبو المحاسن: مورد اللطافة، ص ٤، ٥).

(٣) الداوداري: الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق: صلاح الدين المنجد، القاهرة، ١٩٦١م، ص ٢٦٥.

(٤) النويري: نهاية الأرب، ص ٦٤، ٦٦.

(٥) أم المستنصر هي السيدة رصد، كانت في الأصل جارية لأبي سعيد التستري (وزير المستنصر) من عبيد الشراء السود، وقد أكثرت من شراء العبيد وكونت منهم طائفة عسكرية، لقبت السيدة الملكة، أسست لها ديوانها الخاص، لكي تدير شئونها الخاصة، وكان لها توقيعها الخاص وهو "الحمد الله ولي كل نعمة". (ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، ص ٢٥؛ الدواداري: الدرة، ص ٣٤٤، ٣٤٥؛ المقريزي: الحنفا، ج٢، ص ٢٦٦- ٢٦٧؛ عبد المنعم ماجد: السجلات المستنصرية، بيروت، ١٩٥٤م، سجل ٥١، ص ١٦٩).

(٦) إبراهيم رزق الله أيوب: التاريخ الفاطمي، ص ٣٨.

(٧) ناصر خسرو: سفرنامه، ص ١٠٩، ١١٠.

وزاد شأنهم أيضًا عندما حصلوا على أهم الوظائف في العصر الفاطمي بناءً على ما يظهر من نشاط ونجابة، ومن أمثلة ذلك وظيفة "حامل المظلة" الذي كان من كبار موظفي الدولة الفاطمية لحمله ما يعلو برأس الخليفة، وهذا شرف كبير لا يناله إلا من كان يتمتع بثقة الخليفة الفاطمي، ففي عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمى تسلم هذه الوظيفة رجل يدعى شفيع الصقلبى الخليفة الحاكم بأمر الله تولى أحد العبيد ويدعى "زيدهم" وظيفة حامل المظلة، سنة ٤٩١هـ/ ١٠٠٠م[١].

[١] المقريزي: المصدر السابق، ج٢، ص ٨٩.

خامسًا- الأزمات الاقتصادية وأثرها على أسواق العبيد في العصر الفاطمي:

في وسط هذه الأزمات يكون العبد من الناحية الاجتماعية إنسانًا صورة لا معنى له أشبه بالحيوان فهو شيء يمتلكه الحر يستطيع التخلص منه في أي وقت، وهو ما حدث في أثناء الأزمات والمجاعات، فتوقفت أسواق العبيد في مصر بسبب كل هذا الغلاء وندرة الغذاء[١].

وكان العبيد في بعض الأحيان وخاصة عندما تتعرض البلاد للمجاعات يمثلون مصدر متاعب واضطرابات في الدولة، ويعاني من ذلك العامة بوجه خاص، فكانوا لا يتورعون في هذه الظروف عن مهاجمة الدور والحوانيت لنصب ما فيها ويشتبكون مع العامة الذين يذودون عن أموالهم وممتلكاتهم، وكانت الدولة في مثل هذه الأحوال تحل دم العبيد وتصدر أوامرها بأن من يتعرض له أحد من العبيد فليقتله[٢].

---

[١] الأمين عوض: أسواق القاهرة، ص ٣٩.

[٢] المقريزي: المصدر السابق ، ج٢، ص ١٦٤- ١٧٢.

الخاتمة:

من خلال صفحات البحث الذي بين أيدينا يتضح أن العبيد لعبوا أدوارًا مهمة في عهد الدولة الفاطمية سواء كان في القصر الفاطمي أو الجيش، واتضح ذلك من المكانة التي حصلوا عليها والامتيازات التي منحت لهم، وقد أشرنا أيضًا إلى اهتمام الحكام الفاطميين بأسواق العبيد، فوضعت لهم القوانين؛ لكونها تعد من التجارات المربحة، ووضح في هذا البحث مصادر هؤلاء العبيد وطريقة بيعهم في الأسواق، وأنواعهم، وتنظيم المحتسب لهذه الأسواق ودور السماسرة في رواج تجارة العبيد . وأشرنا أيضًا لأوضاعهم أثناء الأزمات؛ فهم يعانون مثلهم مثل الشعب مع اختلاف أنهم غير مهمين لدى الدولة في هذه الظروف. ورغم ذلك فإن أسواق العبيد احتلت مكانة أساسية لدى الحكام الفاطميين ولاسيما أنهم كانوا موالين كليًا لهؤلاء الحكام ومخلصين لمذهبهم الشيعي، ولذلك صب عليهم أكثر الاهتمام من قبل خلفاء الدولة الفاطمية.

المصادر والمراجع:

أولاً- القرآن الكريم.

ثانياً- المصادر العربية.

١. ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري، ت ٦٣٠هـ/ ١١٩٢م: الكامل في التاريخ، تحقيق: خير سعد، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٢. الأنطاكي: يحيى بن سعيد، ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م، تاريخ يحيى ابن سعيد الأنطاكي، مطبعة الآباء اليسوعيين، سنة ١٩٠٩م.

٣. ابن حوقل: أبو القاسم أحمد النصيبي، توفي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، صورة الأرض، بيروت، ١٩٩٢م.

٤. ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن إبراهيم محمد بن أبي بكر بن خلكان، ٦٨١هـ/ ١٣٨٣م، وفيات الأعيان بأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٨م.

٥. الدواداري: أبو بكر عبد الله بن أيبك الدواداري، ت ٧٣٦هـ/ ١٢٣٦م، الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، الجزء السادس من كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: صلاح الدين المنجدي، القاهرة، ١٩٦١م.

٦. الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ١٩٩١م.

٧. ابن سعيد: أبو الحسن علي الأندلسي، ت ٦٨٥هـ/ ١٣٧٤م، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، تحقيق: حسين نصار، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٨. السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ت ٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٧م.

٩. ــــــــــــــــ: تاريخ الخلفاء، مطبعة الأميرية، ١٩٥٠م.

١٠. أبو شامة: عبد الرحمن بن إسماعيل شهاب الدين الدمشقي، ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م، الروضتين في أخبار الدولتين، النورية والصالحية، القاهرة، ١٨٧٠م.
١١. الشيرزي: عبد الرحمن بن نصر الشيرزي، ت ٥٨٩هـ/ ٢٩٣م، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، القاهرة، ١٩٤٦م.
١٢. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، بيروت، ٢٠٠٠م.
١٣. الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، د.ت.
١٤. ابن الطوير: أبو محمد المرتضى عبدالسلام بن الحسن القيسراني، ت ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م، نزهة الملقتين في أخبار الدولتين، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، بيروت، ١٩٩٢م.
١٥. ابن ظهيرة: أبو المحاسن برهان الدين إبراهيم بن علي، ت ٨٨٥هـ/ ١٢٨٥م، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق: مصطفى السقا، كامل المهندس، القاهرة، ١٩٦٩م.
١٦. ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشي المصري، ت ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م، فتوح مصر وأخبارها، القاهرة، ١٩٩٩م.
١٧. أبو الفداء: السلطان الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل، ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م، تقويم البلدان، بيروت، ١٨٣٠م.
١٨. القاضي النعمان: أبو حنيفة المغربي، ت ٣٦٣هـ/ ٩٧٤م، كتاب المحاسن والمسايرات، تحقيق: الحبيب الفقي، إبراهيم شنتوخ، ومحمد اليعلاوي، تونس ١٩٧٨م.
١٩. القضاعي: أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي، ت ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م، عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، المنصورة، ٢٠٠٧م.

٢٠. القلقشندي: شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن عبد الله، ت ٨٢١هـ/ ١٤٨١م، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤م.
٢١. أبو المحاسن: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، علق عليه: محمد حسين شمس الدين، بيروت، ١٩٩٢م.
٢٢. ـــــــــــــ: مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، لندن (د.ت).
٢٣. المقريزي: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي، ت ٨٢٥هـ/ ١٤٤٥م، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة، د.ت.
٢٤. ـــــــــــــ: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا، الجزء الأول، تحقيق: جمال الدين الشيباني، القاهرة، ١٩٩٦م.
٢٥. الجزء الثاني، تحقيق: محمد حلمي محمد، القاهرة، ١٩٩٦م.
٢٦. ـــــــــــــ: المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، الدار العربي الإسلامي، ١٩٩١م.
٢٧. ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، القاهرة، د.ت.
٢٨. ابن ميسر: تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن حلب بن راغب، ت ٦٧٧هـ/ ١٣٧٨م، المنتقى من أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، القاهرة، د.ت.
٢٩. ناصر خسرو و: أبو معين ناصر خسرو القبادياني المروزي، ت ٤٦٦هـ/ ١٠٨٣م، سفرنامه، رحلة ناصر خسرو، ترجمة: أحمد خالد البدلي، مطبعة جامعة الملك سعود.
٣٠. النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م، نهاية الأرب في فنون الأدب، بيروت، ٢٠٠٤م.
٣١. ياقوت: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عب الله الحموي الرومي البغدادي، ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م، معجم البلدان، بيروت، ١٩٧٧م.

ثالثًا – المراجع العربية والمترجمة:

٣٢. إبراهيم رزق الله أيوب: التاريخ الفاطمي الاجتماعي، القاهرة، د.ت.

٣٣. الأمين محمد عوض: أسواق القاهرة منذ العصر الفاطمي حتى نهاية عصر المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤م.

٣٤. أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، بيروت، د.ت.

٣٥. بتلر: فتح العرب لمصر، القاهرة، ١٩٩٦م.

٣٦. بشاري لطيفة بن عميرة: الرق في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى رحيل الفاطميين، الجزائر، ٢٠٠٧م.

٣٧. ثورة إبراهيم الدوسري: خدم دار الخلافة ودورهم السياسي والحضاري في العصر العباسي الثاني، جامعة أم القرى، ٢٠١٥م.

٣٨. ج. إستون: مدينة الفن والتجارة، ترجمة: مصطفى العبادي، بيروت، ١٩٦٨م.

٣٩. حسن أحمد محمود: الكندي المؤرخ أبو عمر محمد بن يوسف المصري وكتاب الولاة والقضاة، طبعة الدار المصرية (د.ت).

٤٠. زامباور: معجم الأنساب والأسرات في التاريخ الإسلامي، بيروت، ١٩٨٠م.

٤١. الزركلي: خير الدين الزركلي، الأعلام، بيروت، ٢٠٠٢م.

٤٢. سامي العيد محمد أحمد: الحياة الاجتماعية والثقافية في الدولة الفاطمية في المغرب ومصر، بيروت، ٢٠١٩م.

٤٣. سيدة إسماعيل كاشف: أحمد بن طولون: الدار القومية المصرية، سنة ١٩٦٥م.

٤٤. عبد المنعم عبد الحميد إبراهيم سلطان: الحياة الاقتصادية والأسواق في العصر الفاطمي، الإسكندرية، ٢٠٠٥م.

٤٥. عبد المنعم ماجد: السجلات المستنصرية، بيروت، ١٩٥٤م.

٤٦. علي إبراهيم حسن: تاريخ المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٧م.

٤٧. عيوني محمد: دور الرقيق في الحياة السياسية، الجزائر، ٢٠١٣م.

٤٨. فاطمة قدورة الشامي: الرق والرقيق في العصور القديمة والجاهلية وصدر الإسلام، دار النهضة العربية، ٢٠٠٩م.
٤٩. ل. ا.سيمينوفا : تاريخ مصر الفاطمية، ترجمة حسن بيومى ،ط مصر ٢٠٠١م
٥٠. محمد أحمد: الأحداث السياسية في مصر الإسلامية، منذ الفتح العربي حتى سقوط الدولة الفاطمية، ٢٠هـ ٥٩٧م، طبعة دار الفكر العربي، ١٩٩٤م.
٥١. محمد جمال الدين سرور: تاريخ الدولة الفاطمية في مصر، القاهرة، ١٩٩٥م.
٥٢. هويدا عبد العظيم رمضان: المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.
٥٣. هيرات بلال: تجارة الرقيق ببلاد المغرب الأوسط إلى القرن السادس الهجري.

رابعًا- الرسائل والدوريات:

٥٤. خالد حامد السيد عبد الله: مدينة مصر القديمة في القرن السابع عشر الميلادي، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير بكلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة القاهرة (د.ت).
٥٥. نضال أحمد السعيد: الأزمات الاقتصادية التي أصابت مصر في خلافة المستنصر بالله الفاطمي، ٤٢٧- ٤٨٧هـ/ ١٠٣٥- ١٠٩٤م، مجلة كلية التربية بالجامعة المستنصرية، العدد الثاني، ٢٠٠٨م.
٥٦. د. ممدوح محمد حسن: نظام السمسرة وأثره على النشاط التجاري في مصر خلال العصر الفاطمي، ٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م، مجلة المؤرخ المصري- جامعة القاهرة العدد السادس والثلاثون، يناير ٢٠١٠م.